دراسة مقارنة بين المدرستين العقليتين القديمة والحديثة في أصل من أصول الدعوة إلى الله تفسير القرآن الكريم

الباحث/ مبارك فيصل مبارك الغريّب
طالب دكتوراه بالجامعة الإسلامية بماليزيا
كلية أصول الدين ومقارنة الأديان

ملخص البحث

يعنى هذا البحث باستهداف مدرستي العقل القديمة والحديثة؛ وذلك بالتعريف بهما أولاً ثم الوقوف على أبرز أسسهما في مجال تفسير القرآن الكريم، حيث استخدم الباحث المنهج المقارن في بيان أوجه الاختلاف بينهما ثم الاتفاق، حيث احتوى البحث على أربع مباحث وخاتمة تتضمن التوصيات، فالفصل الأول جاء لتحديد مصطلحات الدراسة، والفصل الثاني جاء بالتعريف بالمدرسة العقلية القديمة، والفصل الثالث اختص بالمدرسة العقلية الحديثة، واختتم الباحث الفصل الرابع بالمقارنة بين المدرستين ذاكراً الإيجابيات التي تميّزت بهما كلتا المدرستين ومن ذلك حسن نية كثير منهم ناهيك عن الحفاظ على اللغة العربية دراسة وفهماً والتميّز الواضح بالتنسك والعبادة، وقد توصل الباحث إلى جملة من التوصيات المتعقلة بموضوع البحث، والتي من أبرزها ضرورة بيان بطلان اعتقاد أن العقل لا مجـــــال له في الإسلام بل إن مجاله حدود النص الشرعي.

ABSTRACT

This research is aimed to study the old and new school of thought; by defining both schools of thought, then pointing out their basic rules of Qur'an exegesis, in order to analyze their area of agreement and disagreement. The research comprised four chapters and conclusion in which recommendation was mentioned. First chapter discussed the research terms, second chapter consisted of the definition of the old school of thought, third chapter was made to discuss the new school of thought, while the last chapter comprised the comparison between the both school of thought, by figuring out the positive features of the both schools of thought, among which is: their good intention, let alone their great effort to protect Arabic language by learning and understanding, and their steadfastness in the way of Allah. The researcher has come up with some certain recommendations in relating to the topic of research, among which is necessity of annulment of a mentality says "Everything in Islam is based on the text and there is no room for reasoning". The comparative method is applied in this research to compare between the both schools of thought, and then figuring out the area of agreement and disagreement between the both schools of thought.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستغفره ونستعين به ونستهديه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهْدِ اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً، صلواتُ اللهِ وسلامه عليه وعلى آل بيته وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعد! فلا شك أن عرض أراء العقول على نصوص الشريعة أنه من تمام الدين وحسنه، فما وافق منها النص الشرعي قُبل وما خالف منها النص الشرعي رد، فالعقول البشرية ليست هي الأساس بل النصوص الشرعية هي الأساس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩].

مشكلة البحث

إن دراسة كل مدرسة من مدارس الفكر والرأي على حده لا تتأتى معها الثمار والنتائج المنتظرة كما لو تم دراسة أكثر من مدرسة دراسة مقارنة؛ إذ أنّ بالدراسة المقارنة تتضح كثيراً من الأمور التي يصعب اكتشافها بالطريقة المنفصلة الأولى، هذا وإنّ الترابط والتداخل بين مدارس العقل القديمة والحديثة في التفسير قد سبب كثيراً من الغموض والإيهام، ذلك أن البعض قد يخلط بين أفكارهم فيعتبرها واحدة، والآخر قد يتوهم أن مدارس العقل متفقة في الأفكار والعقائد، ومن هنا جاء هذا البحث في فك غوامض هذه المدراس بمقارنة المدرسة العقلية القديمة بالحديثة في مجال تفسير القرآن الكريم.

أهمية الدراسة

١- بيان الفرق بين المدرسة العقلية القديمة والحديثة في مجال التفسير.
٢- بيان بُعد المدرستين عن الإسلام العتيق في أكثر أفكارها لتقديم العقل على النقل.
٣- بيان تناقض المدراس الفكريّة حينما تقدم عقولها على نصوص الوحي المطهر.
٤- التنبيه على عدم تعارض العقل الصحيح مع النقل الصحيح ألبته.

دراسة مقارنة بين المدرستين العقليتين القديمة والحديثة في التفسير

المبحث الأول: تحديد مصطلحات الدراسة

"يعد تحديد المصطلحات وتعريفها فريضة موضوعية ومنهجية، فرضها ربما تنوع الدلالات وتعدد المعاني للمصطلح الواحد"[١]، ومن تلك المصطلحات:

الدراسة لغة: درس الشيء والرسم يدرس دروساً: عفا، ودرسته الريح يتعدى ولا يتعدى، ودرسه القوم: عفوا أثره، والدرس: أثر الدراس.

وقال أبو الهيثم: درس الأثر يدرس دروسا ودرسته الريح تدرسه درسا أي محته؛ ومن ذلك درست الثوب أدرسه درسا، فهو مدروس: ودريس، أي أخلقته.

ومنه قيل للثوب الخلق: دريس، وكذلك قالوا: درس البعير إذا جرب جربا شديدا فقطر، والدرس: الطريق الخفي.[٢]

الدراسة اصطلاحاً: "هي نسق من الإشارات والرموز، تشكل أداة من أدوات المعرفة"[٣].

المقارنة لغة: "وقارَنَ الشيءُ الشيءَ مُقارَنة وقِراناً: اقْتَرَن به وصاحَبَه. واقْتَرَن الشيءُ بغَيْرِه وقارَنْتُه قِراناً: صاحَبْتَه، ومِنْهُ قِرانُ الْكَوْكَب. وقَرَنْتُ الشيءَ بالشيءِ: وَصَلْتُهُ. والقَرِينُ: المُصاحِبُ. والقَرِينان: أَبو بكر وطلحة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لأَن عُثْمَانَ بْنَ عَبَيْد اللَّه، أَخا طَلْحَةَ، أَخذهما فقَرَنَهما بِحَبْلٍ فَلِذَلِكَ سُمِّيَا القَرِينَين، والقَرِينُ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وقَرَنْتُ الْبَعِيرَيْنِ أَقْرُنُهما قَرْناً: جَمَعْتُهُمَا فِي حَبْلٍ وَاحِدٍ. والأَقْرانُ: الحِبَالُ"[٤].

المقارنة اصطلاحاً: تأتي المقارنة في الاصطلاح بمعنى "المقابلة بين الاتجاهات العلمية أو الفكرية المتقاربة لمعرفة وجوه الاشتراك والاختلاف بينها"[٥].

---

[١] رضوان جمال يوسف الأطرش، "مبتكرات القرآن اللغوية وعاداته"، **مجلة الدراسات اللغوية والأدبية**، (قسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)، ص٥٥.

[٢] انظر: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج٦، ص٧٩.

[٣] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <لغة/http://ar.wikipedia.org/wiki> آخر تعديل لهذه الصفحة ١٠ سبتمبر ٢٠١٦م.

[٤] ابن منظور الإفريقي، المصدر السابق، ج١٣، ص٣٣٦.

[٥] أحمد سالم الشنقيطي، **بين المقارنة والموازنة تقويم لغوي**، <https://ar-ar.facebook.com/almusahhehabusarah/posts/٨٩٩٠١٧٧١٦٨٠٢٤٥٦> شوهد في نوفمبر، ٢٩، ٢٠١٦م.

المدرسة لغة: في نظر الباحث أن الدراسة والمدرسة من أصل لغوي واحد وقد تم التعريف آنفاً.

المدرسة اصطلاحاً: "هي مكان التّعليم والتّدريس، فالمدرسة مؤسسةٌ أسّسها وأنشأَها المجتمعُ بهدفِ تربيةٍ وتعليم من يشترك فيها، ففي بداية كلّ عامٍ دراسيّ يدخل فوجٌ جديدٌ للتعلّم وإكمال المسيرة التعليميّة، فالمدرسة هي اللبنة الأساسيّة في المجتمع لخلق أجيالٍ تَنهَضُ بالأمّة وتواكبُ العلمَ والتطوّرَ والحضارة"[1].

العقل لغة: "العَقْلُ: الحِجْر والنُّهى ضدُّ الحُمْق، وَالْجَمْعُ عُقولٌ. عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلاً ومَعْقُولاً، وَهُوَ مَصْدَرٌ؛ قَالَ سِيبَوَيْهِ: هُوَ صِفَةٌ، وَكَانَ يَقُولُ إِن الْمَصْدَرَ لا يأْتي عَلَى وَزْنِ مَفْعُولٍ البَتَّةَ، ويَتأَوَّل المَعْقُول فَيَقُولُ: كأَنه عُقِلَ لَهُ شيءٌ أَي حُبِسَ عَلَيْهِ عَقْلُه وأُيِّد وشُدِّد، قَالَ: ويُسْتَغْنى بِهَذَا عَنِ المَفْعَل الَّذِي يَكُونُ مَصْدَرًا؛ وعَقَل، فَهُوَ عاقِلٌ وعَقُولٌ مِنْ قَوْمٍ عُقَلاء. ابْنُ الأَنباري: رَجُل عاقِلٌ وَهُوَ الْجَامِعُ لأَمره ورَأْيه، مأْخوذ مِنْ عَقَلْتُ البَعيرَ إِذا جَمَعْتَ قَوائمَهُ، وَقِيلَ: العاقِلُ الَّذِي يَحْبِس نَفْسَهُ ويَرُدُّها عَنْ هَواها، أُخِذَ مِنْ قَوْلِه قَد اعْتُقِل لِسانُه إِذا حُبِسَ ومُنِع الكلامَ. والمَعْقُول: مَا تَعْقِله بِقَلْبِكَ. والمَعْقُول: العَقْلُ، يُقَالُ: مَا لَهُ مَعْقُولٌ أَي عَقْلٌ، وَهُوَ أَحد الْمَصَادِرِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى مَفْعُولٍ كالمَيْسور والمَعْسور. وعاقَلَهُ فعَقَلَه يَعْقُلُه، بِالضَّمِّ: كَانَ أَعْقَلَ مِنْهُ. والعَقْلُ: التَّثَبُّت فِي الأُمور. والعَقْلُ: القَلْبُ، والقَلْبُ العَقْلُ، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل"[2].

العقل اصطلاحاً: "العقل يقع بالاستعمال على أربعة معانٍ: الغريزة المدركة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية، والعمل بمقتضى العلم"[3].

القديم لغة: "فِي أَسماء اللَّه تَعَالَى المُقَدِّم: هُوَ الَّذِي يُقَدِّم الأَشياءَ وَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا، فَمَن اسْتَحَقَّ التَّقديم قدَّمه. والقَدِيم، عَلَى الإِطلاق: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. والقِدَمُ: العِتْقُ مَصْدَرُ القَدِيم. والقِدَمُ: نَقِيضُ الحُدوث، قَدُمَ يَقْدُم قِدَماً وقَدامةً وتَقادَمَ، وَهُوَ قَدِيم، وَالْجَمْعُ قُدَماء وقُدَامى. وشيءٌ قُدامٌ: كقَدِيم والقَدَمُ والقُدْمةُ: السَّابِقَةُ فِي الأَمر. يُقَالُ: لِفُلانٍ قَدَمُ صِدْقٍ أَي أَثَرَةٌ حَسَنَة. قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: القَدَمُ التَّقَدُّم، قَالَ الشَّاعِرُ:

---

[1] كفاية العبادي، **مفهوم المدرسة لغة واصطلاحاً**، <مفهوم_المدرسة_لغة_واصطلاحاً/http://mawdoo٣.com> شوهد في نوفمبر، ٢٩، ٢٠١٦م.

[2] ابن منظور الإفريقي، المرجع السابق، ج١١، ص٤٥٨.

[3] سمير مثنى علي الأبارة، **مفهوم العقل في اللغة والاصطلاح**، <http://www.alukah.net/culture/٠/٩٧٨٣١> شوهد في نوفمبر، ٢٩، ٢٠١٦م.

وإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ أُصيبُوا، فإِنهم ... بَنَوْا لكُمُ خيرَ البَنِيَّة والقَدَمْ"[1].

المدرسة العقلية القديمة اصطلاحاً: سوف يأتي التفصيل فيها في المبحث الثاني.

الحديث لغة: "نقيضُ الْقَدِيمِ. والحُدُوث: نقيضُ القُدْمة. حَدَثَ الشيءُ يَحْدُثُ حُدُوثاً وحَداثةً، وأَحْدَثه هُوَ، فَهُوَ مُحْدَثٌ وحَديث، وكَذَلِكَ استَحدثه. وأَخذني مِنْ ذَلِكَ مَا قَدُمَ وحَدُثَ؛ وَلا يُقَالُ حَدُثَ، بِالضَّمِّ، إِلا مَعَ قَدُم، كأَنه إِتباع، ومِثْلُهُ كَثِيرٌ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: لا يُضَمُّ حَدُثَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَلامِ إِلا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَذَلِكَ لِمَكَانِ قَدُمَ عَلَى الازْدواج. يُقَالُ: حَدَثَ الشيءُ، فإِذا قُرِن بقَدُم ضُمَّ، للازْدواج. والحُدُوثُ: كونُ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ. وأَحْدَثَه اللهُ فَحَدَثَ. وحَدَثَ أَمرٌ أَي وَقَع. ومُحْدَثاتُ الأُمور: مَا ابتدَعه أَهلُ الأَهْواء مِنَ الأَشياء الَّتِي كَانَ السَّلَف الصالحُ عَلَى غَيْرِهَا"[2].

المدرسة العقلية الحديثة اصطلاحاً: سوف يأتي التفصيل فيها في المبحث الثالث.

التفسير لغة: "الفَسْرُ: الْبَيَانُ. فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، ويفْسُرُه، بِالضَّمِّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ. ابْنُ الأَعرابي: التَّفْسيرُ والتأْويل وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً؛ الفَسْرُ: كَشْفُ المُغَطّى، والتَّفْسير كَشف المُراد عَن اللَّفْظ المُشْكل، والتأْويل: رَدُّ أَحد الْمُحْتَمَلَيْنِ إِلَى مَا يُطَابِقُ الظَّاهِرَ. واستَفْسَرْتُه كَذَا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لِي. والفَسْر: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ، وَكَذَلِكَ التَّفْسِرةُ؛ قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وأَظنه مولَّداً، وَقِيلَ: التَّفْسِرةُ الْبَوْلُ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْمَرَضِ وَيَنْظُرُ فِيهِ الأَطباء يَسْتَدِلُّونَ بِلَوْنِه عَلَى عِلَّةِ الْعَلِيلِ، وَهُوَ اسْمٌ كالتَّنْهِيَةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُعْرَفُ بِهِ تَفْسِيرُ الشَّيْءِ وَمَعْنَاهُ، فَهُوَ تَفْسِرَتُه"[3].

التفسير اصطلاحاً: "عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانُ مَعَانِيهِ وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكَمِهِ وَاسْتِمْدَادُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَعِلْمِ الْبَيَانِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْقِرَاءَاتِ وَيَحْتَاجُ لِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ"[4].

---

[1] ابن منظور الإفريقي، المرجع السابق، ج١٢، ص٤٦٥.

[2] المصدر السابق، ج٢، ص١٣١.

[3] المصدر السابق، ج٥، ص٥٥.

[4] بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ج١، ص١٣.

المبحث الثاني: المدرسة العقلية القديمة في التفسير

يقصد بهذه المدرسة المعتزلة؛ وهي اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام ما بين سنة ١٠٥هـ وسنة ١١٠هـ في القرن الثاني الهجري بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء الغزال[١]، وقد تأثرت بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر إلى أن أصبحت فرقة كبيرة تفرعت عن الجهمية[٢] في معظم الآراء ثم انتشرت في بلدان المسلمين انتشاراً واسعاً[٣]، وقد أطلق المستشرقون عليهم مسمى العقل فسمّوا بالمدرسة العقليّة[٤]، أما **نشأتها** فقد ارتبط علم الكلام منذ أول نشأته بظهور فرقة المعتزلة أو ظاهرة الاعتزال في الواقع الإسلامي، وإن تسرب بعد ذلك إلى طوائف أخرى من الفرق المبتدعة كالروافض[٥] والمرجئة[١]، فقد نشأة المعتزلة في بداية القرن الثاني الهجري.

---

[١] هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي (٧٠٠هـ – ٧٤٨هـ)، الملقب بالغزال الألثغ، كان تلميذاً للحسن البصري، ومؤسس فرقة المعتزلة الإسلامية. حصل الخلاف بينه وبين الحسن في حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل حلقة الحسن، فقال الحسن "اعتزلنا واصل" فتسمت فرقته بالمعتزلة وانضم إليه عمرو بن عبيد. كانت زوجته هي أخت عمرو بن عبيد. توفي في عام ١٣١ هـ الموافق لـ ٧٤٨ م في المدينة المنورة. كان واصل بن عطاء على ما وهبه الله من فطانة وفصاحة وحسن تصرف في القول كان صاحب عاهة في نطق حرف الراء. وكان واصل يحسن التأني لهذا العيب المحرج في النطق، فيجانب لفظ الراء إلى سواه من الحروف، فيجعل البر قمحاً، والفراش مضجعاً، والمطر غيثاً، والحفر نبشاً، وقد سجل لنا العلماء خطبة كاملة لواصل بن عطاء تجنب فيها حرف الراء. انفصل واصل بن عطاء عن الحسن البصري وكون الحلقة الأولى للمذهب الاعتزالي. على الرغم من أن واصل بن عطاء كان من زعماء العقلانيين في الإسلام الا أنه كان في نفس الوقت من منظري التكفير وهذا شيء يثير الاستغراب، فقد أسس نظرية "المنزلة بين المنزلتين" ومعناها أن مرتكب الكبيرة ليس مسلم ولا كافر ولكنه في منزلة بينهما وإذا مات ولم يتب عن كبيرته فهو مخلد في النار.

انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <واصل_بن_عطاء/http://ar.wikipedia.org/wiki> آخر تعديل لهذه الصفحة ١١ أكتوبر ٢٠١٦م.

[٢] الجهميّة هي فرقة تنتسب إلى الإسلام، ظهرت في الربع الأول من القرن الهجري الثاني، على يد مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية. انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <جهمية/https://ar.wikipedia.org/wiki > آخر تعديل لهذه الصفحة ٢٢ سبتمبر ٢٠١٦م.

[٣] غالب بن علي عواجي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**، (جدة: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج٣، ص١١٦٣.

[٤] قاسم محمد أمين، **ضحى الإسلام**، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، ج٣، ص٨٩.

[٥] يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة وزعموا أن الخلافة في وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ، وأن خلافة غيرهم باطلة، انظر: العواجي، المرجع السابق، ج٣، ص٣٤٤.

المطلب الأول: سبب التسمية وفيها عدة أقوال:

أ- قيل إن سبب التسمية في مجلس الحسن البصري لما كان في أحد دروسه في البصرة إذ دخل عليه رجل فسأله يا إمام الدين ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة –يقصد الخوارج– وجماعة أخرى يرجئون أصحاب الكبائر ويقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة –يقصد المرجئة– فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك؟ فتفكر الحسن وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً ثم قام إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد واخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ومنهم عمرو بن عبيد، فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمّوا بها.

ب- وقيل لأنهم يرون أن صاحب الكبيرة اعتزل عن المؤمنين وعن الكافرين.

ت- وقيل سموّا بذلك نسبة إلى المشابهة بينهم وبين فرقة يهودية تسمى افروشيم.

ويرى الباحث أن الرأي الأول أقرب إلى الصواب من جهة اللغة العربية والتصاق اسم الفرقة بها والله اعلم.[٢]

---

[١] المرجئة هم فرقة إسلامية، خالفوا رأي الخوارج وكذلك أهل السنة في مرتكب الكبيرة وغيرها من الأمور العقدية، وقالوا بأن كل من آمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر، لأن الحكم عليه موكول إلى الله تعالى وحده يوم القيامة، مهما كانت الذنوب التي اقترفها. وهم يستندون في اعتقادهم إلى قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾[التوبة:١٠٦]. والعقيدة الأساسية عندهم عدم تكفير أي إنسان، أيا كان، ما دام قد اعتنق الإسلام ونطق بالشهادتين، مهما ارتكب من المعاصي، تاركين الفصل في أمره إلى الله تعالى وحده، لذلك كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وقد نشأ هذا المذهب في أعقاب الخلاف السياسي الذي نشب بعد مقتل عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وعنه نشأ الاختلاف في مرتكب الكبيرة. فالخوارج يقولون بكفره والمرجئة يقولون برد أمره إلى الله تعالى إذا كان مؤمنا، وعلى هذا لا يمكن الحكم على أحد من المسلمين بالكفر مهما عظم ذنبه، لأن الذنب مهما عظم لا يمكن أن يذهب بالإيمان، والأمر يرجأ إلى يوم القيامة وإلى الله مرجعه. ويذهب الخوارج، خلافا للمرجئة، إلى أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار. في حين وقف أكثر الفقهاء من أهل السنة والمحدثين موقفا وسطا، فرأوا أن قول المرجئة بعفو الله عن المعاصي قد يطمع الفساق، فقرروا أن مرتكب الذنب يعذب بمقدار ما أذنب ولا يخلد في النار، وقد يعفو الله عنه. ويعرف هؤلاء بمرجئة السنة ومنهم حماد بن أبي سليمان وأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وعبد المجيد بن أبي رواد وآخرون، انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <جهمية/https://ar.wikipedia.org/wiki/ آخر > تعديل لهذه الصفحة ٢٧ يوليو ٢٠١٦م.

[٢] انظر: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**، (الرياض: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص ٤٣، محمد العبده ؛ طارق عبد الحليم، **المعتزلة بين القديم والحديث**، (برمنجهام: دار الأرقم، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ص١٣-١٤.

أما عن أسمائهم **فيجد الباحث** أن العلماء أطلقوا على هذه الفرقة مجموعة من الأسماء والألقاب منها، أولاً أسماء لا يحبونها:

أ- القدريّة: لموافقة المعتزلة القدرية في إنكار القدر.

ب- الجهميّة: وذلك لأن المعتزلة هم الذين أحيوا آراء الجهمية في أول أمرهم، ولموافقتهم الجهمية في بعض المسائل العقدية.

ت- الثنوية والمجوسيّة: وذلك لأنهم يقرروا أن الخير من الله والشر من العبد، الذي يشبه مذهب الثنوية والمجوس في وجود إله للخير وإله للشر.

ث- الوعيديّة: وهو رأي ومعتقد عندهم اشتهروا به وهو إنفاذ الوعد والوعيد لا محالة.

ج- المعطلة: لتعطيلهم الصفات عن معانيها.

ثانياً: أسماء يطلقونها على أنفسهم:

أ- العدليّة: لقولهم بالعدل وهو أحد أصولهم الخمسة.

ب- أهل الحق: لأنهم يعتبرون أنفسهم على الحق وما عداهم على الباطل.

ت- الفرقة الناجيّة: لينطبق عليهم ما ورد في فضائل هذه الفرقة.

ث- المنزهون الله: لزعمهم أنهم حين سلبوا صفات الله عن معانيها المقصودة شرعاً أنهم بذلك ينزهون الله تعالى.

ج- الموحدة: لقولهم بالتوحيد وهو أحد أصولهم الخمسة.[1]

وبما أن موضوع البحث متعلق بالتفسير ومقارنة هذه المدرسة بالمدرية العقلية الحديثة **فيرى الباحث** أن يُكتفى بهذا القدر من التعريف بها والنشأة والأسماء تاركاً المجال لمن أراد التوسع أن يرجع إلى المصادر المشار إليها في هذا البحث.

المطلب الثاني: الأسس التي بنى المعتزلة عليها موقفهم من تفسير القرآن الكريم:

إن المدرسة العقلية القديمة اتخذت موقفاً من تفسير آي كتاب الله العظيم، وإن هذا الموقف تجلى في أسس معينة قد ذكرها العلماء، فنذكر منها:

١- إقامة تفسيرهم على أصولهم الخمسة، (التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، قال أبو الحسن الخياط أحد كبار

[1] انظر: العواجي، المرجع السابق، ج٣، ص١١٦٦-١١٦٨.

هذه الفرقة في القرن الثالث الهجري: وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة فإذا كملت هذه الخصال فهو معتزلي[1].

ويرى الباحث ضرورة ذكر شيء من الإيجاز لهذه الأصول الخمسة حتى يقف القارئ على سوء معانيها وبشاعة مراميها، وهي على الترتيب كالآتي:

أولاً: التوحيد

يقضي عندهم نفي الصفات.

مثال تفسير المدرسة العقلية القديمة للقرآن الكريم على أصل التوحيد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]؛ بأن المقصود بالآية النظر إلى الثواب وليس النظر إلى الله تعالى.

ثانيّاً: العدل

يقضي عندهم نفي القدر.

مثال تفسير المدرسة العقلية القديمة للقرآن الكريم على أصل العدل

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات:٩٥-٩٦]، بأن المراد والله خلقكم وما تعملون من أصنام كما في تفسير القاضي عبد الجبار المسمّى بتنزيه القرآن عن المطاعن.[2]

ثالثاً: المنزلة بين المنزلتين

وهذا الأصل يوضح حكم الفاسق في الدنيا عند المعتزلة، وهو يقضي بنفي وصف الإيمان عن عصاة أهل القبلة، وهي المسألة التي اختلف فيها واصل بن عطاء عن الحسن البصري.

مثال تفسير المدرسة العقلية القديمة للقرآن الكريم على أصل المنزلة بين المنزلتين

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان:٣]؛ قالوا إن الشاكر قد يكون شاكراً وإن لم يكن براً تقيّاً.[3]

---

[1] محمد أبو زهرة، **تاريخ الجدل**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، ص٢٠٨.

[2] فهد الرومي، المرجع السابق، ج١، ص٥٩.

[3] عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني، **تنزيه القرآن عن المطاعن**، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م)، ص٤٤٣.

رابعاً: الوعد والوعيد

يقضي بأنه يجب على الله أن يعذب العصاة بالآخرة وذلك بتخليد الموحدين في النار وألا تشملهم عفو ولا شفاعة.

مثال تفسير المدرسة العقلية القديمة للقرآن الكريم على أصل الوعد والوعيد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾[سبأ:١]، في مذهبهم أن الله ﷻ لا يحمد في الآخرة في دخول أهل الإيمان الجنة لأنهم دخلوها بجهدهم وفي هذه الآية بنوا تفسيرها على مذهبهم الباطل فقالوا المقصود بالحمد هنا هو تتمة السرور.[1]

خامساً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقضي بوجوب الخروج على أئمة المسلمين بالسيف ممن ليس على مذهبهم، أو من كان على مذهبهم ولكنه جار أو فاسق.

والأمثلة في الأصل الخامس كانت عقلية بحته لا تستند إلى نص شرعي.[2]

٢- إنكارا ما يعارضهم من الأحاديث الصحيحة:

كأحاديث الرؤية التي جاءت عن نحو ثلاثين صحابي لمجرد مخالفتها مذهبهم في نفي الرؤية.

٣- ادعائهم أن كل محاولاتهم في التفسير مرادة لله تعالى، وأن الحكم هو ما أدى إليه اجتهاد كل مجتهد.

٤- المبدأ اللغوي في التفسير لدى المعتزلة؛ فيحاولون إبطالا المعنى الذي يرونه مشتبهاً في اللفظ القرآني دون الذي يذهبون إليه:

ومثال ذلك عند قوله تعالىاً: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾[النساء:١٦٤]؛ جعلوا لفظ الجلالة منصوب حتى ينفوا صفة الكلام عنه.

٥- تذرع المعتزلة بالفروض المجازية إذا ما بدا ظاهر القرآن غريباً بالنسبة لهم؛ مثال ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

---

[1] انظر: محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ه/١٩٨٦م)، ج١، ص٥٨٣.

[2] فهد الرومي، المرجع السابق، ج١، ص٦٠.

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف: ١٧٢]، يحملون هذه الآية وأمثالها على التخييل والتمثيل.

٦- تفسيرهم للقرآن على ضوء ما أنكروه من الحقائق الدينيّة.

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[المائدة:٦٤]؛ ففسروها بأنها النعمة والعطية.

٧- التشبث بالدليل العقلي وإقرار سلطان العقل، لدرجة إخضاع النقل للعقل، وقالوا: إذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم العقل لأنه أساس النقل، إلى أن آل بهم الأمر إلى انكار بعض الأمور الغيبة التي أثبتها أهل السنة بالنصوص الشرعية استناداً من المعتزلة بالعقل كالجن والسحر المذكورين في التنزيل المبارك وغيرهما.[١]

٨- اهتمام المعتزلة بدراسة الفلسفة والمنطق واللغة العربية أدى إلى الملكة العقلية التي اغتروا بها فقدموها على النقل الصريح.

٩- قوانين اللغة ومصداقية النقل لا تكفي عند المعتزلة بل يلزمها ضابط ورقيب وموجه هو العقل ولا شيء غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة... ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً ويدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير)[٢].

---

[١] من الذين انكروا الجن النظام، وهو هو إبراهيم بن سيّار بن هانئ النظّام البصري، وُلد في البصرة، واختُلف في عام ولادته اختلافا كبيرا، وتجعل الأقوال ميلاده ما بين عام ١٦٠هـ و١٨٥ هـ/٧٧٧م. تتلمذ في الاعتزال على يد أبي الهذيل العلّاف، ثم انفرد عنه وكوّن له مذهباً خاصاً (النظّامية)، وكان أستاذ الجاحظ. توفي في بغداد، واختُلف أيضاً في زمن وفاته، ما بين عام ٢٢١ هـ/٨٣٦م وعام ٢٢٩ هـ. انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <إبراهيم_النظام/ https://ar.wikipedia.org/wiki> شوهد في نوفمبر، ٢٩، ٢٠١٦م.

[٢] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م) ص٢٢.

المطلب الثالث: بعض تفاسير هذه المدرسة:

أمثلةٌ على بعض تفاسير المعتزلة:

١- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ه (ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة)، وهو تفسير عظيم جداً لولا ما فيه من نزعات الاعتزال، وقد ذكر أنه استخرج من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش[١].

٢- تفسير جامع التأويل لمحكم التنزيل لأبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني، (المولود سنة ٢٥٤هـ والمتوفى سنة ٣٢٢هـ).

٣- تفسير تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبدا الرازي الهمذاني الأسد آبادي (٣٥٩ – ٤١٥هـ، ٩٦٩ – ١٠٢٥م).

٤- تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصمّ (٢٠١هـ/ ٨١٦م- ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) من أهل البصرة.

٥- تفسير أبو القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي المتوفى ٣١٩هـ.

٦- الجامع لعلم القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني المولود سنة ٢٩٦هـ والمتوفى سنة ٣٨٤هـ.

٧- تفسير الجبائي وهو محمد بن عبد الوهّاب بن سلام الجبائي، المعروف بأبي علي الجبائي، ولد سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م في مدينة جُبّى في خوزستان، وتوفي في البصرة سنة ٣٠٣هـ/٩١٦م.

٨- تفسير شيخ ابراهيم ابن اسماعيل بن عليّة، الذي كان يناظر الإمام الشافعي رحمه الله لكنه غير موجود.[٢]

٩- تفسير عبيد الله بن محمد بن جرو الأسدي أبو القاسم النحوي العروضي المعتزلي المتوفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة من الهجرة ومما يحكى أنه كتب في البسملة مائة وعشرين وجهاً لكنه غير موجود.

---

[١] محمد السيد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٢٧٧.

[٢] المرجع السابق، ص٢٧٧.

١٠- تفسير عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني شيخ المعتزلة المتوفى سنة ٤٨٣هـ (ثلاث وثمانين وأربعمائة للهجرة)، وقد فسر القرآن تفسيراً واسعاً، أي قد أطال في تفسيره وأوضح فكان من التفاسير المطولة، وذكره السيوطي رحمه الله في طبقات المفسرين.

١١- الشريف المرتضي، العالم الشيعي العلوي المتوفى سنة ٤٣٦هـ (خمس عشرة وأربعمائة من الهجرة)، فقد وفق بين ظاهر النظم الكريم والعقيدة الاعتزاليّة وقد دونها في أماليه التي أسماها: غرر الفوائد ودرر القلائد.

المبحث الثالث: المدرسة العقلية الحديثة في التفسير

يعرفون بأنهم هم أصحاب التوجه الفكري الذي يسعى للتوفيق بين النصوص الشرعية والحضارة الغربية.

يحدد رجال هذه المدرسة التفسير المطلوب من القرآن الكريم بأنه (فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا والآخرة).

أسس منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير:

١- الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية.

والمقصود فيه تناسق آي القرآن الكريم وهي مسألة خلافية بين علماء الإسلام الأوائل، يقول د. ابراهيم الدويش "تختلف وجهات النظر حول الوحدة الموضوعية للسور، حيث يقف أهل العلم منها مواقف ما بين قائل بها ورافض لها ومتوسط بين الرفض والقبول، تعني الوحدة الموضوعية للسورة انتظامها في موضوع كلي تحته عناصر تجعل منه بيتا مشيدًا، إذا أحسن المتدبر فهم الموضوع الكلي، حداه إلى عناصره، فانتظم في ذهنه هدف السورة حتى يدرك ببصيرته أي جنوح يقطع حبلها الممدود إذا ابتعدت عن هذا الترتيب البديع، فيرى بعضهم أن (سور القرآن لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جوٌّ خاص يظلِّلُ موضوعاتها كلها؛ ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات)، لكن المحور الذي تدور السورة عليه لا يبدو لائحاً من أول نظرة، بل يحتاج إلى طول تأمل وشفافية روح، وحسن طوية، وتفاعل مع الآيات التي تبدو لك بعد هذا في حلة بهيجة، وشمس ساطعة تستضيء بنورها أينما حللت، ويتعين بطول النظر أقوى الاحتمالات، وعلى حين تختلف وجهات النظر في

تحديد المحور العام فإن هذا لا يضر أصل القضية، فما دامت الوحدة والتناسب قائما فالنهل منه سهل ميسور، لأن الأمر في نهايته يدور على الاجتهاد، وإذا كان القرآن قد نزل مفرقا على سنين متطاولة، فقد اتكأ بعضهم على نفي التناسب بناء على تباعد النزول، لكن يبقى الأمر على وجود التناسب، ووجود المحور العام في كل سورة، ما دام القائل به لم يصحب قوله تكلف، أو تنطع، أو استنطاق شيء لا يحتمل، فكل آية في كتاب الله العزيز إما مكملة لما قبلها، فهي مرتبطة بها لا تنفك عنها، وإما مستقلة عنها فلها وجه مناسبة في وضعها بعدها، فلا بد من البحث عنه، ينتج عن البحث في هذا علم جم ومعارف كثيرة قال الزركشي -رحمه الله- (٧٩٤هـ): (المصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتى في أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لَذَكَرَ آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقًا، بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه، ونظمه الباهر، فإنه ﴿...كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[هود:١].[1]

٢- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.

وهو امتداد للأساس الأول، وفي هذا الصدد يقول د. أحمد بن محمد الشرقاوي أستاذ التفسير المشارك في جامعة الأزهر وكلية التربية للبنات في القصيم -حفظه الله- "والمقصود أن الموضوع الواحد في القرآن الكريم يرد في مواضع متفرقة، و بصور متنوعة، ولمناسبات متعددة، ومع ذلك فلو جمعت آيات الموضوع الواحد لكونت بناء واحدا قويا محكما، و لأصبحت نسيجاً واحداً متناسقاً بديعاً، ولقد كثرت الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم خاصة في هذا العصر، ومن أهم الدراسات الموضوعية في هذا تلك الرسالة التي حصل عليها الأستاذ الدكتور محمد محمود حجازي على درجة العالمية الدكتوراه من كلية أصول الدين بالقاهرة، وهى بعنوان الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وهى قسمان، قسم نظري وقسم تطبيقي، وهي رسالة مفيدة ومحاولة جديدة لفهم الوحدة الموضوعية، ومن ضمن الكتب التي سارت على هذا المنوال :المرأة في القرآن الكريم، الإنسان في القرآن الكريم -للأستاذ عباس

[1] ابراهيم الدويش، **الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم**، <http://www.islamsky.net/newsDetail.php?id=٢١٤٦> شوهد في نوفمبر، ١٦، ٢٠١٦م.

العقاد، الصبر في القرآن الكريم للدكتور يوسف القرضاوي، دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز، موقف سورة آل عمران من أهل الكتاب للأستاذ الدكتور على الشريف، وله أيضا قصة آدم في القرآن الكريم، وغير ذلك."[1]

٣- الشمول في القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾[سبأ: ٢٨]، وقد قام بالتنبيه على ذلك د. عاطف عبد المعز الفيومي على ذلك بتقسم ذلك إلى أقسام مفيدة قائلاً "فشمولية القرآن تشمل:

١ – الشُّمول العقدي:

يتمثَّل هذا الشمول ببيان حقيقة توحيد الله –سبحانه وتعالى– بصورة واضحة؛ وذلك ببيان ذاته، وأسمائه وصفاتِه.

٢ – الشمول التشريعي:

يتضمَّن القرآن الكريم تشريعًا كاملاً لمختلف مناحي الحياة، فيشمل: العبادات، والمعاملات، والعقوبات، والسِّياسة الخارجية، ومعاهدات السِّلم والحرب والحياد، وسائر الأنظمة التي يقوم عليها المجتمع.

٣ – الشمول الخطابي للنَّفس الإنسانيَّة:

ومعنى ذلك أنَّ القرآن شمل في خطابه العقل والوجدان والعاطفة؛ لأنَّ القرآن الكريم حين يدعو إلى العقيدة الصحيحة في الله، وفي كل ما جاء عنه، وحين يدعو إلى التزام تشريع معيَّن في عباداتنا أو معاملتنا أو نظمنا الاجتماعية، وحين يدعو إلى الخلق الكريم، والأدب الحميد، واتِّخاذ ذلك منهجا لنا في سلوكنا الشخصي مع الله ومع الناس.

ولقد سلك القرآن الكريم في دعوته هذه الطُّرق الثلاثة:

١ – خاطب العقل:

لأنَّ من الناس من لا يؤمن إلاَّ بالدليل العقلي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

---

[1] أحمد بن محمد الشرقاوي، **نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى**، <http://elibrary.mediu.edu.my/books/SDL١٤٨٠.pdf> شوهد في نوفمبر، ١٦، ٢٠١٦م.

٢ – خاطب القرآن الوجدان:

لأنَّ من الناس مَن لا يُحفِّزه إلى الانقياد والطاعة إلاَّ ما يحرِّك وجدانه، ويثير فيه جانب الرغبة أو الرهبة، فإذا ما أمر بمعروف، وقرن الأمر بالترغيب، رغبت نفسه في الامتثال؛ أملاً في الثَّواب، وإذا ما نهى عن منكر قرن النَّهي بالترهيب كفَّ نفسه عنه؛ رهبةً من الوقوع تحت طائلة العقاب.

٣ – خاطب القرآنُ العاطفة:

لأنَّ من الناس من لا يستجيب لدعوة الخير إلاَّ إذا خُوطب بما يهزُّ عاطفته، ويوقظ في نفسه كوامن الحب والشفَقة والرحمة."[١]

٤– القرآن هو المصدر الأول للتشريع.

قال د. فهد الرومي –حفظه الله– بعد ما ذكر جملة من نصوصهم أن منهجهم في ذلك منهج سلفهم المدرسة العقلية القديمة (المعتزلة) بالنسبة للحديث الشريف من رد الأحاديث الصحيحة التي تخالف أقوالهم كردهم لحديث سحر الرسول –صلى الله عليه وسلم– كما صرح بذلك الأستاذ محمد عبده، ورد ما يخالف ما ذهبوا إليه من آراء في التفسير وما اهتدت له عقولهم والله المستعان.[٢]

٥– ترك الإطناب فيما ورد مبهماً في القرآن الكريم.

استخدموا هذا الأمر في اثبات معتقداتهم المخالفة لا التوقف في مسائل التي ورد الاطناب فيها في أحاديث القصاص والوضاعين.

٦– التفسير العلمي الحديث.

اضطربوا في نفي هذا الأساس لفظاً على الرغم من تطبيقه عملاً وواقعاً،

٧– المنهج العقلي في التفسير.

تقديم العقل على النقل، "ويؤكد كثير من علماء المسلمين أن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، لكن أصحاب هذه المدرسة لم يضعوا تعريفاً محدداً مشهوراً بينهم للعقل، ولم يتفقوا على حدود مجالات العقل عندهم. وبوجه عام فإن عقولهم مبنيةٌ على مألوفاتهم وعاداتهم وأهوائهم ورغباتهم. ويحاولون تطويع النص الديني ليتلاءم مع

---

[١] عاطف عبد المعز الفيومي، **بيان شمولية القرآن الكريم**، <http://www.alukah.net/sharia/٠/٣٤٠٦٦/> شوهد في نوفمبر، ١٦، ٢٠١٦م.

[٢] فهد الرومي، المرجع السابق، ص٢٥٢.

الفكر الغربي والذوق الأوربي. وفي باب الفقه يتتبعون الرخص، ويأخذون بالأسهل، ويسمون ذلك فقه التيسير، حيث يتمحور هذا الفقه حول قضايا المرأة وأنظمة الحكم، والسيادة، وما يتعلق بالفن والملابس، ويقفون من الإجماع موقف التشكيك أو التهوين منه، لأنه يعارض بعض القضايا المهمة عندهم، ويفتحون باب الاجتهاد على مصراعيه"[1].

٨- التحذير من الإسرائيليات.

منهج السلف في ذلك ثلاثة أقسام في التعامل مع الإسرائيليات:

١- ما خالف نرده.

٢- وما وافق نأخذه.

٣- وما سكت عنه لا نوافق ولا نرده.

٩- التقليل من شأن التفسير بالمأثور.

ويشمل أربعة أقسام:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- تفسيره بالسنة النبوية.

٣- تفسيره بأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

٤- تفسيره بأقوال التابعين رضي الله عنهم.

التقليل من شأن تفسير القرآن بالسنة النبوية وعدم التفريق بين كتب السنة.

١٠- انكار التقليد وذمه والتحذير منه.

قبول قول الغير من غير حجة ولا يدخل ذلك في قبول القول أخذا بالكتاب والسنة والإجماع وغيرها لأنهم هم الحجة نفسها.

- ما لم يرد فيه نص شرعي اختلف العلماء في القول بالتقليد.

١١- الإصلاح الاجتماعي.

- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

---

[1] نجميّة أردول، **المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من الحديث الشريف تركيا أنموذجاً**، <http://lib.iium.edu.my/mom٢/cm/content/view/view.jsp?key=vMeRvx٠D٨raBUIcUdtrRb٠qo QGHOImCs٢٠٠٨٠٩٠٣١٢١٥٠٧٦٨٧> ، شوهد في نوفمبر، ١٦، ٢٠١٦م.

- الحرية.
- اصلاح العقائد من المنكرات.
- اصلاح التعليم والتربية والاقتصاد.

المبحث الرابع: المقارنة بين المدرستين القديمة والحديثة في التفسير

المطلب الأول: نقاط الاتفاق

- تقديس العقل؛ فكلا المدرستين اتفقوا على تضخيم العقل وكبّاره بل وتقديمه على النقل المطهر.
- رد بعض النصوص الشرعية المخالفة لمعتقداتهم، فقد تقدم أنهم ردوا أحاديث صحيحة لمجرد توهمهم أنها مخالفة للعقل.
- اتفاقهما بشكل عام في التبعية للمذاهب والفلسفات الأجنبية عن الإسلام، وإن اختلفوا في نوعية التبعيّة كما سيأتي.
- استباحة الخوض في أمور الغيب؛ بل لم يكتفوا بالخوض في الأمور الغيبة فقد ردوا بعضها كالميزان وغيره.
- الجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة؛ وذلك بعبارات براقة باسم التسامح الديني وحرية الاعتقاد.
- لمز عقيدة أهل السنة والجماعة والتهوين من شأنهم، وذلك واضح من خلال كتبهم المطبوعة.
- الدعوة إلى تفسير القرآن والسنة تفسيراً عقلانيّاً، بما اسموه زوراً التفسير العصري للقرآن الكريم.
- اعتبار هزيمة الفرق المنحرفة نكسة تاريخيّة وضرراً بالإسلام، وكان عليهم أن يحمدوا الله تبارك وتعالى أن أطفأ البدع والأمور التي تنافي صفاء التنزيل وزلال التأويل.
- تمجيد رواد الاتجاهات العقلانية؛ فهم يرون أن جميع حكم استنتجته من عقلك فهو حكم مراد في الشرع باعتبار أن العقل أساس التشريع أو أن الشرع قائم على الرؤية العقلية.
- التقليل من شأن بعض الأحكام الشرعية؛ فهم لما قللوا من شأن بعض الأحكام لم ينقادوا عليها.

- الدعوة إلى تفسير القرآن والسنة تفسيراً عقلانياً جديداً.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف:

- اختلافهما في نوع التبعيّة ذاتها؛ فإن المدرسة العقلية الحديثة تمجد الغرب وأهل الاستشراق وحضارته وتأخذ روافدها منه، على خلاف المدرسة العقلية القديمة فإنها تمجد أصحاب الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية والمجوس وغيرها من الديانات المنحرفة.
- إن المدرسة العقلية الحديثة أقل تبحراً بعلوم اللغة العربية من المدرسة العقلية القديمة؛ **فالباحث يرى** أن الصياغة اللغوية للقديمة أقوى من المعاصرة، ويتضح ذلك جلياً للقارئ في كتبهم.
- بالنسبة للمعتزلة انكشف عوارها أما الجديدة فما زالت ملتبسة على بعض أهل الإسلام؛ فإن أئمة الإسلام تصدوا للمعتزلة وألفوا المؤلفات الكثيرة في بيان بطلان معتقداتهم أما الحديث فإن النسبة تقل في هذا الصدد وذلك **حسب ما وصل إليه الباحث.**
- المدرسة الجديدة أكثر تماسكاً وتكافلاً من المعتزلة؛ فإن المدرسة العقلية القديمة قد افترقت إلى عشرين فرقة أو أكثر، أما الجديدة فهم متماسكون فيما بينهم وأكثر تكافلاً.

المطلب الثالث: الإيجابيات

لاشك أن دين الإسلام علمنا الإنصاف حتى مع الخصم فقال الله عز وجل في كتابه الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[المائدة:٩]، وبناء على هذا فإن للمدرستين كثير من الإيجابيات سوف يقوم الباحث بسردها على النحو التالي:

١. كثير منهم كانت نيته حسنة متمثلة في نصر الإسلام وإعزازه وحماية بيضته ودفع عنه شر المبطلين وانتحال الكاذبين، والحفاظ على قدسيته بل وكثير منهم افنى عمره في ذلك.
٢. عدد لا بأس به منهم قام بالحفاظ على اللغة العربية إذ هي لغة القرآن الكريم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾[الشعراء:١٩٥]، بل تفنن رجالاتهم

فيها وألفوا المؤلفات الزاخرة في بيان قواعدها وتأصيلاتها وفروعها وبذلك قدموا خدمة للأجيال القادمة في الاعتزاز بلغة دينهم وتكريمها والحفاظ عليها.

٣. تميّز كثير منهم في التنسك، فحين تطّلع على سيرتهم الشخصية ترى العجب العجاب من العبادة والزهد بل إن بعضهم أفنى حياته في العلم.

٤. في بعض المواضع والأحكام تفوقوا في إعمال العقل فيها كالأحكام التي تستند على المصالح والمفاسد وارتكاب أدنى المفسدتين وسد الذرائع وغيرها.

الخاتمة

أولاً: النتائج

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج على النحو التالي:

١- أن العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح.

٢- على العبد ألا يقدم العقل على النقل المطهّر، ويجب عليه أن يأخذ الشرع جملة وألا يوهن بعض نصوصه لتوهم معارضتها للعقل.

٣- **يرى الباحث** أن المدرسة العقلية الحديثة هي امتداد للمدرسة العقلية القديمة ولذلك أطلق عليهم أفراخ المعتزلة، لكن بثوب جديد تحت شعارات براقة كالتجديد والتنوير والحداثة.

٤- ضرورة التفريق بين أصحاب المدرسة العقلية الحديثة وأهل الحداثة؛ إذ كثير من الباحثين قد يخلط بينهما.

ثانيًا: التوصيات

وقد خلص الباحث إلى جملة من التوصيات:

١- ضرورة بيان بطلان اعتقاد أن العقل لا مجال له في الإسلام بل إن مجاله حدود النص الشرعي، وذلك بتأليف المؤلفات وإلقاء المحاضرات المسموعة في هذا الشأن، كما **يوصي الباحث** إخوانه من الطلاب بضرورة التفريق بين أهل الحداثة كمحمد أركون وغيره وبين أصحاب المدرسة العقلية الحديثة فالفرق بينهما واضح.

٢- **يوصي الباحث** الجامعة الإسلامية العالمية بإقامة مؤتمر يبيّن حال مكانة العقل في الإسلام وما هي حدوده ومجالاته؟

٣- **يوصي الباحث** بضرورة طباعة كتب من ألف في الرد على أصحاب المدارس العقلية ككتاب د. فهد الرومي في أصحاب المدرسة الحديثة في التفسير.

٤- **يوصي الباحث** المقبلين على دراسة أصحاب هذه المدارس أن يستل نصوصاً من مقولاتهم ويستند لها في معرض بيانه حيث أنه أقرب للمصداقية العلميّة.

المصادر والمراجع

الكتب العربية:

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي. (١٤١٤ه/١٩٩٣م). **لسان العرب** (ط٣). بيروت: دار صادر.

أبو زهرة، محمد. (١٣٥٣ه/١٩٣٤م). **تاريخ الجدل** (ط١). القاهرة: دار الفكر العربي.

أمين، قاسم محمد. (١٣٥٤ه/١٩٣٥م). **ضحى الإسلام** (ط٧). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. (١٤٠٣ه/١٩٨٣م). **المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** (ط٢). الرياض: مؤسسة الرسالة.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. (١٣٧٦ه/١٩٥٧م). **البرهان في علوم القرآن** (ط١). بيروت: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد. (١٤٠٧ه/١٩٨٦م). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (ط٣). بيروت: دار الكتاب العربي.

العبده، محمد ؛ عبد الحليم، طارق. (١٤٠٨ه/١٩٨٧م). **المعتزلة بين القديم والحديث** (ط١). برمنجهام: دار الأرقم.

عواجي، غالب بن علي. (١٤٢٢ه/٢٠٠١م). **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها** (ط٤). جدة: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق.

الهمداني، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار. (١٤٢٧ه/٢٠٠٦م). **تنزيه القرآن عن المطاعن** (ط١). القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

الدوريات:

الأطرش، رضوان جمال يوسف. مبتكرات القرآن اللغوية وعاداته...، **مجلة الدراسات اللغوية والأدبية**. تصدر عن قسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. عدد خاص. سبتمبر ٢٠١١م.

الشبكات العنكبوتية:

ابراهيم الدويش، **الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم**،

<http://www.islamsky.net/newsDetail.php?id=٢١٤٦> شوهد في نوفمبر، ١٦، ٢٠١٦م.

أحمد سالم الشنقيطي، **بين المقارنة والموازنة تقويم لغوي،**
https://ar->
ar.facebook.com/almusahhehabusarah/posts/٨٩٩٠١٧٧١٦٨٠٢٤٥٦> شوهد في نوفمبر، ٢٩، ٢٠١٦م.

أحمد بن محمد الشرقاوي، **نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى،** <http://elibrary.mediu.edu.my/books/SDL١٤٨٠.pdf> شوهد في نوفمبر، ١٦، ٢٠١٦م.

سمير مثنى علي الأبارة، **مفهوم العقل في اللغة والاصطلاح،** http://www.alukah.net/culture/٠/٩٧٨٣١ <> شوهد في نوفمبر، ٢٩، ٢٠١٦م.

عاطف عبد المعز الفيومي، **بيان شمولية القرآن الكريم،**
<http://www.alukah.net/sharia/٠/٣٤٠٦٦> شوهد في نوفمبر، ١٦، ٢٠١٦م.

كفاية العبادي، **مفهوم المدرسة لغة واصطلاحاً،**
<مفهوم_المدرسة_لغة_واصطلاحاً/http://mawdoo٣.com> شوهد في نوفمبر، ٢٩، ٢٠١٦م.

نجميّة أردول، **المدرسة العقلية الحديثة وموقفها من الحديث الشريف تركيا نموذجاً،**
<http://lib.iium.edu.my/mom٢/cm/content/view/view.jsp?key=vMeRvx٠
D٨raBUIcUdtrRb٠qoQGHOImCs٢٠٠٨٠٩٠٣١٢١٥٠٧٦٨٧>، شوهد في نوفمبر، ١٦، ٢٠١٦م.

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <إبراهيم_النظام/https://ar.wikipedia.org/wiki> شوهد في نوفمبر، ٢٩، ٢٠١٦م.

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، <لغة/http://ar.wikipedia.org/wiki> آخر تعديل لهذه الصفحة ١٠ سبتمبر ٢٠١٦م.